

المولّد في اللّغة العربيّة

حيوية اللّغة:

قيل عن اللّغة كائن حي بسبب كونها تأبى الثبات على حال والركون لوضع على الدوام، فهي تتفاعل مع حياة الناس وتجسد حياتهم سلّبا أو إيجابا تماشيا مع أحوالهم.

يقول العالم اللغوي الفرنسي "دار مستيتير": "إن اللّغة، أي لغة كانت وفي أي فترة من فترات حياتها تكون في تطور دائم ومستمر يتنازعها في ذلك قوتان متعارضتان تجاهد اللّغة في الاحتفاظ بتوازنها بينها، وهاتان القوتان هما: - المحافظة هي نزعة طبيعية عند المتحدثين بهذه اللّغة في الإبقاء عليها كما عرفوها.. - القوة الثورية، وهي تعمل على دفع اللّغة نحو التطور والتغير.." وبين هاتين القوتين المتضادتين تقع اللّغة في صراع دائم وأبدي، ولا يقدر أحد أن ينكر هذه الحقيقة في اللّغات لأنها موجودة بقوة الفعل.

مفهوم المولّد:

المولّد هو: "المحدث من كل شيء، ومنه المولّدون من الشعراء سموا بذلك لحدوثهم"، وعرفه السيوطي بقوله: "ما أحدثه المولّدون الذين يحتج بألفاظهم". أما مفهوم المولدين هم شريحة من المجتمع العربي المسلم بعد الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الحكم الإسلامي، هم من أصول عربية إلا أنهم ليسوا من أعراب البدو وأعراب الأمصار فقد استعملوا ألفاظا أعجمية لم يعرفها فصحاء العرب فهي جديدة لديهم وهم الذين أوجدوها أو ابتدعوها، بمعنى أنهم لم يلتزموا بحس المحافظة على نقاء اللّغة وتقديس اللّغة بالاكْتفاء بما هو فيها من الكلمات الفصيحة بل نزعوا إلى إضافة ألفاظ لم تكن موجودة في قديم اللّغة.

وتوليد الألفاظ الجديدة لم يحدث فقط في عصر صدر الإسلام وبعده بل كان معروفا عن العرب الجاهليين في حدود ضيقة، إذ عرف عنهم قلة اختلاطهم بالأجناس الأخرى إلا في مناسبات معدودة مرتبطة بالتجارة أو الحروب لكن هذه المناسبات كانت مفعمة بعلاقات التأثير والتأثر خصوصا في اللّغة

التي تعد أهم وسائل التواصل وقضاء الحاجات فكان الاستجداء بالجديد من اللفظ مع قلته حالة صحية طبيعية ترافق الاحتكاك البشري المختلف خصوصا المتواتر منه.

لكن مع الأجيال العربية الجديدة التي كبرت في كنف الاحتكاك بالشعوب الأخرى وبالتالي بثقافتها ولغاتها لم يكن منهم إلا أن يندمجوا في جو التفاعل الثقافي واللغوي الذي تفرضه ظروف ذلك العصر وتلك البيئة فتنازلوا عن عصبيتهم للغة فكانت غريزة التطور والتمدن أقوى من حصون المحافظين والمتعصبين، ونحوا منحى النفعية في التعامل معها، أخذوا الجديد الذي تفتقده العربية مما هو موجود في اللغات الأخرى خصوصا الفارسية، واستطاعوا أن يتكيفوا مع الأوضاع الجديدة التي تصادفهم في طريق الفتوحات والتوسع الإسلامي.

وقد استعمل المولدون كلمات غير الذي كان شائعا عند العرب الفصحاء عن طريق الاشتقاق والتجوز بنقل كلمة من معنى أصلي كان متداولاً إلى معنى جديد، وقد وصل بالمولدين تحريف أصوات اللغة العربية ودلالاتها حتى ابتعدوا عن الفصحى وشكلت تلك المحاولات ما يسمى بالعامية أو الكلام الدارج.

المولّد عند المحدثين:

لعل جرجي زيدان من الأوائل الذين اهتموا بالبحث اللغوي الحديث وبفكرة التطور اللغوي كما عرفه المنهج الأوربي، وقد حاول عندما أصدر كتابه الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية (1886م) أن يقدم للقارئ العربي شيئا من مناهج علم اللغة الحديث وبالتالي كان اهتمامه بالمولد ينبع من اقتناع بفكرة التطور اللغوي لذلك نجده يعرف المولد بقوله: "نريد بالمولد ألفاظا عربية تنوعت دلالاتها للتعبير عما حدث من المعاني التي اقتضاها التمدن الحديث في الإدارة والسياسة أو العلم أو غير ذلك".

ثم يقسم الألفاظ المولدة إلى ألفاظ إدارية وعسكرية وقضائية وسياسية وعلمية وصناعية، ويذكر من الألفاظ المولدة: المأمور، المدير، المشير، المحضر، السفارة، الجريدة، المجلة، الحامض، القطار، القاطرة، المطبعة، ثم يقول: "هذه أمثلة من الألفاظ المولدة في النهضة الأخيرة في الإدارة والسياسة والتجارة والعلم والصناعة، وهي كما ترى عربية الأصل والاشتقاق وأكثرها كان معروفا في اللغة ومدونا في المعاجم من قبل لمعان قريبة مما استعملها لها المولّدون أو شبيهه بها".

طرق وضع المولّد

يرى العالم الفرنسي دار مستتر أن الألفاظ الجديدة تولّد عن طريقين أساسيين هما:

- عن طريق خلق أو وضع كلمات جديدة، وذلك عن طريق الاشتقاق والنحت أو الاقتراض من اللغات الأخرى.
- أو عن طريق خلق معان جديدة لكلمات موجودة فعلا، ويحدث ذلك لما نعطي كلمات لها معنى ولكن هذا المعنى أهمل أو لم يستعمل بسبب يرجع إلى واحد أو أكثر من عوامل التطور اللغوي ووفقا لقوانين تغيير الدلالة فيعطي حينئذ اللفظ القديم معنى جديدا، وغالبا ما يتم ذلك دون زيادة حقيقية في عدد المفردات على الرغم من أن اللغة تخلق هذه الكلمات القديمة مفردات جديدة تماما.

أما الشيخ المغربي فيرى طرق التوليد ثلاث:

- طريق الاشتقاق وهو أن يشتق المولّدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان لكنهم لم يعرفوا الكلمة المذكورة ولم يشتقوها، مثل كلمة "الفسقية" للحوض الصغير له أنبوبة في وسطه ينبثق منها الماء، وقد اشتق هذا الاسم من مادة "فسق" التي بمعنى خرج.
- طريق التعريب، وهو أن ينقل المولّدون إلى لغتهم العربية كلمة من لغة أعجمية لم يكن العرب يعرفها من قبل. (وقد سبق وأن فصلنا في مفهوم التعريب في محاضرة المعرّب)
- وطريق ثالث أطلق عليه الاستعمال التشبيهي وهو ما استعمله المولّدون على طريق التشبيه والكناية لأنه لم يشتق من مادة اشتقاقا ولم ينقل من أصل أعجمي، وإنما هو كلمة أو تركيب كان أهل اللغة يستعملونه في معنى ثم جاء المولّدون ونقلوه إلى معنى آخر واستعملوه فيه، مثال ذلك "القطر" يستعمله العرب للدلالة على المطر، أما المولّدون استعملوه في هذا المعنى وفي السكر المذاب وهذا الاستعمال لم تعرفه العرب.